**قصيدة الكوليرا "سكن اليل " لنازك الملائكة**

**فى عام 1947 كتبت الشاعرة العراقية نازك الملائكةقصيدتها الشهيرة (الكوليرا) التى نظمتها على وزن البحر المتدارك، وصوّرت فيها مشاعرها وأحاسيسها نحو مصر حين داهمها وباء الكوليرا، وحاولت التعبير عن وقع أرجل الخيل التى تجر عربات الموتى من .ضحايا المرض فى الريف المصرى**

**سكَن الليلُ**

**أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ**

**فى عُمْق الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ**

**صَرخَاتٌ تعلو، تضطربُ**

**حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ**

**يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ**

**فى كل فؤادٍ غليانُ**

**فى الكوخِ الساكنِ أحزانُ**

**فى كل مكانٍ روحٌ تصرخُ فى الظُلُماتْ**

**فى كلِّ مكانٍ يبكى صوتْ**

**هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ**

**الموتُ الموتُ الموتْ**

**يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ**

**طَلَع الفجرُ**

**أصغِ إلى وَقْع خُطَى الماشينْ**

**فى صمتِ الفجْر، أصِخْ، انظُرْ ركبَ الباكين**

**عشرةُ أمواتٍ، عشرونا**

**لا تُحْصِ أصِخْ للباكينا**

**اسمعْ صوتَ الطِّفْل المسكين**

**مَوْتَى، مَوْتَى، ضاعَ العددُ**

**مَوْتَى، موتَى، لم يَبْقَ غَدُ**

**فى كلِّ مكانٍ جَسَدٌ يندُبُه محزونْ**

**لا لحظَةَ إخلادٍ لا صَمْتْ**

**هذا ما فعلتْ كفُّ الموتْ**

**الموتُ الموتُ الموتْ**

**تشكو البشريّةُ تشكو ما يرتكبُ الموتْ**

**الكوليرا**

**فى كَهْفِ الرُّعْب مع الأشلاءْ**

**فى صمْت الأبدِ القاسى حيثُ الموتُ دواءْ**

**استيقظَ داءُ الكوليرا**

**حقْدًا يتدفّقُ موْتورا**

**هبطَ الوادى المرِحَ الوُضّاءْ**

**يصرخُ مضطربًا مجنونا**

**لا يسمَعُ صوتَ الباكينا**

**فى كلِّ مكانٍ خلَّفَ مخلبُهُ أصداءْ**

**فى كوخ الفلاّحة فى البيتْ**

**لا شىءَ سوى صرَخات الموتْ**

**الموتُ الموتُ الموتْ**

**فى شخص الكوليرا القاسى ينتقمُ الموتْ**

**الصمتُ مريرْ**

**لا شيءَ سوى رجْعِ التكبيرْ**

**حتّى حَفّارُ القبر ثَوَى لم يبقَ نَصِيرْ**

**الجامعُ ماتَ مؤذّنُهُ**

**الميّتُ من سيؤبّنُهُ**

**لم يبقَ سوى نوْحٍ وزفيرْ**

**الطفلُ بلا أمٍّ وأبِ**

**يبكى من قلبٍ ملتهِبِ**

**وغدًا لا شكَّ سيلقفُهُ الداءُ الشرّيرْ**

**يا شبَحَ الهيْضة ما أبقيتْ**

**لا شيءَ سوى أحزانِ الموتْ**

**الموتُ، الموتُ، الموتْ**

**يا مصرُ شعورى مزَّقَهُ ما فعلَ الموتْ**

**التعريف بالشاعرة:**

نازك الملائكة هي شاعرة عراقيّة تمثّل إحدى أبرز الشاعرات في الشعر العربيّ الحديثّ، وقد جمعت بين الثقافتين العربيّة والغربيّة، وُلدت الملائكة في بغداد عام 1923، وتخرّجت في دار المعلّمين عام 1944، وفي 1949 تخرّجت في معهد الفنون الجميلة، وتابعت دراستها في جامعة برنستون وفي جامعة وسكونسن لإعداد الماجستير في الأدب المقارن.

**تحليل القصيدة – مقاربة أسلوبية –**

وظّفت الشاعرة نازك الملائكة مرض الكوليرا في قصيدتها موضوعيًّا، وفي تحليل النصّ تحليلًا أسلوبيًا؛ يُلاحظ أنّ الشاعرة قد اعتمدت على وقائع اجتماعيّة ظاهرة، والأسلوب الأدبي في النصّ يقوم على مبدأ التضمين، أي وجود انعكاس للمفردات، وللصور الفنيّة الواردة في الأبيات.، حيث صوّرت الشاعرة في الأسطر الشعريّة مشاعرها نحو مصر حين داهمها وباء الكوليرا. تٌعبّر الشاعرة في الأسطر الشعريّة السابقة عن الحزن والألم الذي يملأ البيوت بسبب الموت الذي يُحدِثه مرض الكوليرا، فالموت يعمّ المكان بصورة واضحة، ولذلك فإنّ كلمة الموت جاءت مُكرّرة في المقطع الشعري؛ لتُعبّر عن سيطرة الموت أمام الحياة، فمرض الكوليرا يصنع الموت، والألم، والأنين، والصرخات التي تجعل الأمر لافتًا للنظر، إضافة إلى أنّها ذكرت في القصيدة سكون الليل، وعدم حركته ذلك رغم امتلائه بالأنّات، والصرخات على رحيل الأموات وفراق الأحباب، ولكن السكون حاضر بسبب غيابهم، فهم من أحدثوا الفراق والصمت.

تذكر الشاعرة في المقطع الثاني طلوع الفجر، ولكن الفجر هنا لا يدلّ على الإشراق والأمل، بل هو دليل على اليأس، لأنّ هناك أخبار ستُسمع من وفاة ورحيل، والشاعرة ما زالت تشرح حال البلاد بعد تفشّي المرض، فهي تُعبّر عن الأحداث وما صاحبها من دمار لا يعتمد على الوطن فحسب، بل هو دمار في البشريّة ذاتها، إذ تقول إنّ الأعداد في تزايُد، والموت يقضي على الناس، ولا يفرّق بين صغير وكبير، فأعداد الموتى لا تحصى،والموت يقضي على أمل الغد والمستقبل.

تستمرّ بشرح ما أوْرَثَه داء الكوليرا، فهي تقول: إنّه في كلّ مكان على هذه الأرض ثمّة جسد مُصاب بنُدبة الكوليرا، تلك النّدبة التي أزالت الصمت والخلود المرجوّ، فانتشر كفّ الموت على البشريّة، وفي هذه الحال أصبح الموت هو الدواء الوحيد الذي يُنقذ من هذا الداء، كما تنتقل الشاعرة من وصف المرض إلى الوصف الاقتصادي والحياة المعيشية، فهي تقول في كهف الرعب، وهنا المقصود به حال المصريّين آنذاك، إذ كانوا يعيشون في الأكواخ ثم يبيتون في الكهوف لقلّة حيلتهم وفقرهم.

وقد شبّهت الشاعرة في مرض الكوليرا بالإنسان الذي كان في غفلة نومه ولكنّه استيقظ، وفي هذا الاستيقاظ أصبح يمتلئ حقدًا على كلّ شيء، وفي كلّ مكان، في الأكواخ، والوديان، وذلك الحقد ولّد الموت دون رحمة أو رأفة، وتختتم المقطع من القصيدة بتكرار كلمة الموت ثلاثة مرات؛ وذلك لتأكيد مدى خطورة ما يحدث في ذاك الزمان بسبب الكولير.

تُعبّر الشاعرة هنا عمّا عجز غيرها عنه، فهي تُعاتب الموت في هذه الأبيات، فتُخاطبه وتقول له إنّه أنهى على كلّ شيء، فلم يبقَ سوى الحزن، فالموت يقضي على كلّ شيء، فيتملّكها الحزن على مصر؛ بسبب ما أحدثه هذا المرض من موت وحزن، وعند تحليل قصيدة الكوليرا لنازك الملائكة يُمكن ملاحظة تغيُّر الشكل الشعريّ، والتغيُّر في توزيع التفعيلات وعددها، واختلاف القافية.

إنّ التقطيع العروضيّ لقصيدة الكوليرا يعتمد في تقسيمه على الشعر الحرّ، فكان بحر قصيدة الكوليرا هو البحر المتدارك، ومن خلال التحليل السابق يتّضح أنّ القصيدة كانت وسيلة للتعبير عن خبايا النفس في مُواجهة الواقع المُر، فتمتزج الكلمات والأوزان وتخلق صورًا فنية مُعبّرة للوصول إلى المعنى الحقيقيّ والمقصود، فكأنّ الكوليرا ليس المرض المقصود وحده وحسب، بل هو أيضًا صفة لكلّ روح شرسة، تُسيطر على الأرض وتنشر الدّمار في البشريّة.

ريادة نازك الملائكة لشعر التفعيلة:

يتّصل اسم نازك الملائكة بشعر التفعيلة، وقد كان لها دور في التّنظير لهذا الشعر الجديد في مقدمة ديوانها "شظايا ورماد"، وفيها حاولت أن تثور على العروض الخليلي في الشعر، وهذا أثّر في الأوساط الأدبيّة والنّقدية؛ إذ اختلف النقّاد والشّعراء حول هذا الشعر، وانقسموا بين مُؤيّد ومُعارض له، واختلف النقاد أيضًا حول قضية ريادة هذا الشعر أيضًا هل هي نازك الملائكة أم بدر شاكر السياب، أم أن ثمّة من سبقهما إلى هذه الريادة الشعريّة، ويرى بعض النقاد أنّ الملائكة هي رائدة هذا الشعر، والسبب في ذلك أنّها لم تكتبه فقط، وإنّما نظّرت له في كتابها: "قضايا الشعر المعاصر".

يُضاف إلى ذلك أنّ جدلًا كبيرًا دار حول قصيدة "الكوليرا"، فيما إذا كانت أوّل قصيدة كُتبت في الشعر الحر، أم أنّ أول قصيدة كانت للسيّاب، الذي قام بنشر قصيدة له بعنوان:"هل كان حبًا" في ديوانه "أزهار ذابلة" في عام 1946، أي قبل أن تنشر الملائكة قصيدتها "كوليرا" بعام. وقد اعترفت الملائكة نفسها بأنّ لها مُحاولات شعريّة بالشكل الحرّ قرابة عام 1932، ومن هنا جاء الخلاف حول ريادة الشعر الحر.

بقي موضوع الرّيادة في الشعر الحرّ موضع خلاف بين النُّقاد، ففي العراق كانت الريادة للشعر الحر لبدر شاكر السيّاب ونازك الملائكة، ومنهم من يعود بها إلى الرصافي والزّهاوي، وفي لبنان نُسبت الرّيادة إلى أمين الريحاني وفؤاد الخشن، وفي الأردن نُسبت إلى عرار "مصطفى وهبي التل".